الجهل

الداء العضال

الشيخ ندا ابو احمد

الألوكة
alukah.net

الجهل...الداء العضال

الشيخ/ندا أبو أحمد

الجهل...الداء العضال

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:70،71)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالىٰ ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

الجهل... الداء العضال

انتشار الجهل علامة من علامات الساعة:

أولا: ذم الجهل من القرآن الكريم:

1 – **الجهل سبب لإعراض المعرضين عن دعوة الأنبياء والمرسلين.**

2 – **الجهل سبب للوقوع في الشرك.**

3 – **فالجهل سبب للوقوع في المحرمات وفعل المنكرات.**

4 – **الجهل يحجب الإنسان عن الوصول للحق.**

5 – **الجهل يعمي عن رؤية الحق ويصم عن سماعه، وأصحابه كالأنعام.**

6 – **الجهل موت وظلمة، والعلم حياة ونور.**

7 – **الجهل بالجهل من أعظم العقوبات لأنه يسد باب العلم بالكلية.**

ثانيا: ذم الجهل من السنة المباركة:

1 – **الجاهل ليس علىٰ خير، ولم يبال الله به.**

2 – **الجهل سبب للبعد عن الله تعالىٰ.**

3 – **الجاهل صغير مهما علا في المكانة أو كبر في السن.**

4 – **الجهل يذري بصاحبه وينقص من قدره.**

5 – **الجاهل يتحسر يوم القيامة علىٰ ما فاته من طلب العلم.**

6 – **الجهل سبب لإعراض الله عن العبد.**

7- الجهل سبب في شقاء العبد.

8- الجهل سبب في انتشار البدع والأهواء.

9- الجهل سبب لهلاك الأمة.

ثالثا: ذم الجهل من كلام السلف:

تذكر في ثنايا الرسالة.

رابعا: أسباب الجهل:

1- موت العلماء.

2- ومن أسباب الجهل: التأويلات الفاسدة والأهواء الغالبة.

3- من أسباب الجهل: تجزئة الشريعة والحد من العمل بها، وتعطيل بعض أحكامها.

خامسا: من صور الجهل:

1- عدم العمل بالعلم.

2- ومن صور الجهل: عدم فهم الدليل، ووضعه في غير موضعه.

3- ومن صور الجهل: المنازعة في المسألة قبل استكمال العلم وإحكامه وجمع حواشيه وأطرافه.

4- ومن صور الجهل: تجزئة الشريعة والأخذ ببعض النصوص دون بعض أو الزعم بالاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة النبوية.

5- ومن صور الجهل: قراءة القرآن وعدم العمل به.

6- ومن صور الجهل عدم معرفة المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه.

سادسًا: كيفية التعامل مع الجاهلين:

سابعا: علاج الجهل:

1 – **طلـب العلــم.**

2 – **سؤال أهل العلم.**

3 – **قراءة القـرآن بتدبر وفهم معانيه.**

الجهل... الداء العضال

تعريف الجهل:

والجهل يدور حول معنيين:

الأول: ما هو ضد العلم، ويقسم إلىٰ قسمين جهل بسيط وجهل مركب، والجهل البسيط: هو عدم الإدراك بالكلية، والجهل المركب: هو إدراك الشيء علىٰ وجه يخالف ما هو عليه. (**الأصول من علم الأصول للشيخ ابن عثيمين ص:13**)

والمعنىٰ الثاني للجهل: ما هو ضد الحلم، ويقصد به السفه والحمق والتهور، وعدم القدرة علىٰ ضبط النفس، وسرعة الانفعال، واشتداد ثورة الغضب، والاندفاع في غير تريث ولا تفكير، وهذا المعنىٰ هو المقصود في قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ (**الفرقان: 62**)، وأيضا هو المقصود بقول النبي ﷺ: **" الصيامُ جُنَّةٌ، فإذا كان أحدُكم صائمًا فلا يَرفُثْ ولا يَجهلْ "** . (**رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ**)

فالجهل هنا يقصد به السفه والحمق والتهور وعدم ضبط النفس وفقدان سيطرة العقل وعدم السلوك الحكيم. (**تاريخ الأدب الجاهلي للدكتور علي الجندي ص:11**)

وعندما نتحدث عن الجهل فالمقصود به هو عدم التفقه في الدين عقيدة وشريعة، وهو الجهل بالسنة وأصولها وقواعدها ومناهجها.

والجهل داء دَوِي، ومرض مستحكم قوي، ذمَّه رب العالمين في كتابه الكريم، وكذا ذمَّه النبي الكريم ﷺ،

وذمَّه كذلك السلف الكرام، وأهل العلم أجمعين.

انتشار الجهل علامة من علامات الساعة:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ قال: " لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِن رَسولِ

اللهِ ﷺ، لا يُحَدِّثُكُمْ به أحَدٌ غيرِي؛ سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: إنَّ مِن أشْرَاطِ السَّاعَةِ أنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، ويَكْثُرَ الجَهْلُ، ويَكْثُرَ الزِّنَا، ويَكْثُرَ شُرْبُ الخَمْرِ، ويَقِلَّ الرِّجَالُ، ويَكْثُرَ النِّسَاءُ حتَّىٰ يَكونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ ".

وقد ذكر البخاري هذا الحديث تحت باب:" رفع العلم وظهور الجهل".

يقول الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في" فتح الباري: 1/ 213":" وقوله:" أنْ يُرْفَعَ العِلْمُ" المراد برفعه موت حملته، وقوله:" ويَكْثُرَ الجَهْلُ"، **وفي رواية:**" يثبت الجهل" أي ينتشر.

ثم قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:" وكأن هذه الأمور الخمسة خصت بالذكر لكونها مشعرة باختلال الأمور التي يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد، وهي: الدين؛ لأن رفع العلم يخل به، والعقل لأن شرب الخمر يخل به، والنسب لأن الزنا يخل به، والنفس والمال؛ لأن كثرة الفتن تخل بهما ". اهـ

وعند رفع العلم في آخر الزمان، وانتشار الجهل، يكثر الزنا وينتشر القتل، وتعبد الأوثان وغير ذلك من ألوان المعاصي والذنوب، وعلىٰ هؤلاء تقوم الساعة وهم شرار الخلق، والجهلة بدين الله.

وقال الحافظ ابن حجر أيضًا -رحمه الله- كما في" فتح الباري: 1/ 215":" وقوله:"أنْ يُرْفَعَ العِلْمُ"، **وفي رواية:**" أن يقِل العلم" هو بكسر القاف؛ من القلة. فيحتمل أن يكون المراد بقلته؛ أول العلامة، وبرفعه؛ آخرها، أو أطلقت القلة وأريد بها العدم ". اهـ

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود وأبي موسىٰ- رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله ﷺ:

" إنَّ بيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا، يَنْزِلُ فيها الجَهْلُ، ويُرْفَعُ فيها العِلْمُ، ويَكْثُرُ فيها الهَرْجُ، والهَرْجُ: القَتْلُ ".

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال:" بيْنَما النبيُّ ﷺ في مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أعْرَابِيٌّ فَقالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ فَمَضَىٰ رَسولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ ما قالَ فَكَرِهَ ما قالَ. وقالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حتَّىٰ إذَا قَضَىٰ حَدِيثَهُ قالَ: أيْنَ [أُرَاهُ] السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ قالَ: هَا أنَا يا رَسولَ اللهِ، قالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قالَ: كيفَ إضَاعَتُهَا؟ قالَ: إذَا وُسِّدَ الأمْرُ إلىٰ غيرِ أهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ ".

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- كما في" فتح الباري: 1/ 143":" قوله:" إذَا وُسِّدَ " أي أسند، وأصله من الوسادة، وكان من شأن الأمير عندهم إذا جلس أن تثنىٰ تحته وسادة، فقوله: " وُسِّدَ ": أي جعل له غير أهله وسادًا، ومناسبة هذا المتن لكتاب العلم أن إسناد الأمر إلىٰ غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط، ومقتضاه أن العلم مادام قائما ففي الأمر فسحة. اهـ

وهذا أوان الشروع للدخول في الموضوع، لنقف علىٰ قبح الجهل وذم الجاهلين من كتاب رب العالمين وسنة النبي الأمين ﷺ وأقوال السلف الصالحين.

أولا: ذم الجهل من القرآن الكريم:

لقد ذم رب العالمين في كتابه الكريم الجهل وحذر منه، وذلك لخطورته، وشؤم عاقبته.

1ـ الجهل سبب لإعراض المعرضين عن دعوة الأنبياء والمرسلين:

ودليل ذلك قول رب العالمين مخبرًا عن قول نوح لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ اللّهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَـكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (هود: 29)

يقول الألوسي-رحمه الله- في" تفسيره 7/ 62":" وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَـكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ أي بكل ما ينبغي أن يعلم، ويدخل فيه جهلهم بمنزلة الذين آمنوا عند الله تعالىٰ، وبما يترتب من المحذور علىٰ طردهم، وبركاكة رأيهم في التماس ذلك، وتوفيق إيمانهم عليه وغير ذلك...". اهـ

ويقول السعدي-رحمه الله- في" تفسيره2/ 406":" وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: علىٰ دعوتي إياكم ﴿مَالًا﴾ فتستثقلون المغرم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ اللّهِ﴾ وكأنهم طلبوا منه طرد المؤمنين الضعفاء، فقال لهم: ﴿وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ أي: ما ينبغي لي، ولا يليق ذلك، بل أتلقاهم وتقواهم بالرحب والإكرام، والإعزاز والإعظام ﴿إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ﴾ فيثيبهم علىٰ إيمانهم وتقواهم بجنات النعيم ﴿وَلَـكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ حيث تأمرونني، بطرد أولياء الله، وإبعادهم عني، وحيث رددتم الحق لأنهم أتباعه ". اهـ

2- الجهل سبب للوقوع في الشرك:

قال تعالىٰ: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَىٰ اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (38) إِنَّ هَـؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف:138،139)

قال الزمخشري-رحمه الله وعفا عنه- في" تفسيره: 2/ 110":" وقوله تعالىٰ:﴿فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ فمروا عليهم ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ يواظبون علىٰ عبادتها ويلازمونها ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا﴾ حينما نعكف عليه ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ أصنام يعكفون عليها ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فتعجب موسىٰ من قولهم علىٰ إثر ما رأوا من الآية العظمىٰ والمعجزة الكبرىٰ، فوصفهم بالجهل المطلق وأكده لأنه لا جهل أعظم مما رأىٰ منهم ولا أشنع ﴿إِنَّ هَـؤُلاءِ﴾ يعني عبدة تلك التماثيل ﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ مدمر مكسر ما هم فيه﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف إلا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وإن كان في زعمهم تقربا إلىٰ الله ". اهـ

ويقول القرطبي -رحمه الله- في" تفسيره: 4/ 237":" وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ﴾ لَّهُمْ كانت أصنامهم تماثيل بقر، ولهذا أخرج السامري لهم عجلا، ﴿قَالُواْ يَا مُوسَىٰ اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ نظيره قول جهال الأعراب وقد رأوا شجرة خضراء للكفار تسمىٰ ذات أنواط[1] يعظمونها في كل سنة يوما: يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال ﷺ: الله أكبر، قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسىٰ:

1- ذات أنواط: هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين يُنِوطُون بها سلاحهم أي: يعلقونه بها ويعكفون حولها.

(النهاية: 5/ 128)

﴿اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لتركبن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة[1] حتىٰ إنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه[2] " وكان هذا في مخرجه إلىٰ حنين ". اهـ

3- فالجهل سبب للوقوع في المحرمات وفعل المنكرات:

وما وقع مَنْ وقع في الشرك والكفر بالله إلا بسبب الجهل، وما وقع من وقع في القتل والاعتداء علىٰ النفوس المعصومة وتخريب الممتلكات المحترمة والخروج علىٰ الجماعة وإشاعة الفوضىٰ إلا بسبب الجهل، والمقصود بالجهلِ هو الجهل بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح- رضي الله عنهم-.

ويدل علىٰ هذا كثير من الأدلة منها:

أ- **قوله تعالىٰ:** ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (54) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (النمل: 54،55)

قال الزمخشري -رحمه الله- في" تفسيره: 3/ 153":" وقوله تعالىٰ: ﴿وَلُوطًا﴾ يعني واذكر لوطا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ من بصر القلب أي: تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها، وأن الله إنما خلق الأنثىٰ للذكر، ولم يخلق الذكر للذكر، ولا الأنثىٰ للأنثىٰ، فهي مضادة لله في حكمته، وعلمكم بذلكم أعظم لذنوبكم وأدخل في القبح والسماجة، وقيل أن المقصود بقوله ﴿تُبْصِرُونَ﴾ يعني تبصرونها بعضكم من بعض لأنهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معلنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية، وقيل المقصود بقوله ﴿تُبْصِرُونَ﴾ أي تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم، فإن قلت، فسرت ﴿تُبْصِرُونَ﴾ بالعلم، ثم جاء بعدها ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فكيف

1- القذة: ريش السهم، قال ابن كثير في النهاية: 4/ 28، يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتون.

2- رواه الترمذي.

يكونون علماء جهلاء؟ قلت: أراد تعقلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك، أو تجهلون العاقبة، أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها ". اهـ

ويقول ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره: 3/ 368":" وقوله تعالىٰ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي لا تعرفون شيئا لا طبعا ولا شرعا ". اهـ

فانظر رعاك الله كيف صنع الجهل بهم، حيث دفعوا في المحرم العظيم بسبب جهلهم.

ب- ومما يدل علىٰ أن الجهل سبب للوقوع في المحرمات وفعل المنكرات:

قوله تعالىٰ علىٰ لسان يوسف عندما خاطب إخوته: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ **(يوسف:89)**

يقول ابن كثير-رحمه الله- كما في" تفسيره: 2/ 489":" يعني كيف فرقتم بين يوسف وبين أخيه ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ أي إنما حملكم علىٰ هذا الجهل بمقدار هذا الذي ارتكبتموه، كما قال بعض السلف: كل من عصىٰ الله فهو جاهل، وقرأ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **(النحل: 119)**

وقال القرطبي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية:" وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ استفهام بمعنىٰ التذكير والتوبيخ، وقوله: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ دليل علىٰ أنهم كانوا صغارا وقت أخذهم ليوسف، غير أنبياء، لأنه لا يوصف بالجهل إلا من كانت هذه صفته، ويدل علىٰ أنهم حسنت حالهم الآن، أي فعلتم ذلك إذ أنتم صغار جهال. **وقيل:** جاهلون بما تؤول إليه العاقبة ". اهـ

فالجهل دفعهم إلىٰ أن تآمروا علىٰ قتل يوسف وهو صغير، وإلقاء يوسف في الجب وكذبهم علىٰ أبيهم وإيذائه لحرمانه من يوسف وأخيه، ففعلوا كل هذا وهم جُهال، وهذا فيه ما فيه من ذم الجهل، حيث أنه يحمل صاحبه علىٰ الوقوع في المعصية، والبعد عن رب البرية، فعلىٰ كل إنسان منا أن يسعىٰ جاهدًا للخروج من عماية الجهل إلىٰ نور العلم.

جـ- ومما يدل علىٰ أن الجهل سبب في الوقوع في المحرمات وفعل المنكرات:

قول يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يوسف33، 34)

قال القرطبي-رحمه الله- في تفسير هذه الآيات:" وقوله: ﴿رَبِّ السِّجْنُ﴾ أي دخول السجن، ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ أي: أسهل عليّ وأهون من الوقوع في المعصية، لا أن دخول السجن مما يحب علىٰ التحقيق ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ قيل كيد النسوة اللاتي رأينه، فإنهن أمرنه بمطاوعة امرأة العزيز ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي إن لم تلطف بي في اجتناب المعصية وقعت فيها ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي ممن يرتكب الإثم ويستحق الذم، أو ممن يعمل عمل الجهال، ودل هذا علىٰ أن أحدا لا يمتنع عن معصية الله إلا بعون الله، ودل أيضا علىٰ قبح الجهل والذم لصاحبه ". اهـ

وقال الزمخشري-رحمه الله- في" تفسيره الكشاف2/ 319":" وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي من الذين لا يعملون بما يعلمون، لأن من لا جدوىٰ لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء، أو من السفهاء لأن الحكم لا يفعل القبيح". اهـ

فالوقوع في الحرام من فعل الجاهلين

يقول ابن القيم -رحمه الله- في" كتابه مدارج السالكين:1/ 470":" وقول يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف: 33) أي من مرتكبي ما حرمت عليهم ". اهـ

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" وأما السيئات: فمنشؤها الجهل والظلم، فإن أحدا لا يفعل سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة، أو لهواه وميل نفسه إليها. ولا يترك حسنة واجبة إلا لعدم علمه بوجوبها، أو لبغض نفسه لها. وفي الحقيقة: فالسيئات كلها ترجع إلىٰ الجهل، وإلا فلو كان عالما علما نافعا بأن فعل هذا يضره ضررا راجحا، لم يفعله.

ثم قال-رحمه الله-:" فأصل ما يوقع الناس في السيئات: الجهل، وعدم العلم بكونها تضرهم ضررا راجحا. أو أظن أنها تنفعهم نفعا راجحا. ولهذا قال الصحابة- رضي الله عنهم-:" كل من عصىٰ الله فهو جاهل، وفسروا بذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء:17)

وكقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام:54) ولهذا يسمىٰ حال فعل السيئات: جاهلية، فإنه يصاحبها حال من حال الجاهلية.

قال أبو العالية-رحمه الله-:" سئل أصحاب محمد ﷺ عن هذه الآية: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَىٰ اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ فقالوا: كل من عصىٰ الله فهو

جاهل. ومن تاب قبيل الموت: فقد تاب من قريب ".

وعن قتادة-رحمه الله- قال: أجمع أصحاب محمد رسول الله ﷺ علىٰ كل من عصىٰ الله ربه فهو في جهالة، عمدا كان أو لم يكن، وكل من عصىٰ الله فهو جاهل". وكذلك قال التابعون من بعدهم.

قال مجاهد -رحمه الله-: من عمل ذنبا- من شيخ أو شاب- فهو بجهالة. وقال: من عصىٰ ربه فهو جاهل حتىٰ ينزع عن معصيته. وقال مجاهد أيضا: من عمل سوءًا خطأً، أو إثمًا عمدًا، فهو جاهل حتىٰ ينزع منه، وروي عن مجاهد والضحاك قالا: ليس من جهالته ألا يعلم حلالا ولا حراما، ولكن من جهالته: حين دخل فيه.

وقال عكرمة-رحمه الله-: الدنيا كلها جهالة. وعن الحسن البصري أنه سئل عنها- أي الآية- فقال: هم قوم لم يعلموا ما لهم مما عليهم، قيل له: أرأيت لو كانوا قد علموا؟ قال: فليخرجوا منها فإنها جهالة. قلت (الكلام لشيخ الإسلام): ومما يبين ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ **(فاطر:28)** وكل من خشيه، وأطاعه، وترك معصيته: فهو عالم. **كما قال تعالىٰ:** ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ **(الزمر:9)**

وقال رجل للشعبي-رحمه الله-: أيها العالم، فقال: إنما العالم من يخشىٰ الله. **وقوله تعالىٰ:** ﴿إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يقتضي أن كل من خشي الله فهو عالم؛ فإنه لا يخشاه إلا عالم، ويقتضي أيضا: أن العالم من يخشىٰ الله كما قال ابن مسعود ﷺ: **" كفىٰ بخشية الله علما، وكفىٰ بالاغترار به جهلا ".** فإنه أثبت الخشية للعلماء، والعلم يوجب الخشية الحاملة علىٰ فعل الحسنات، وترك السيئات، وكل عاص فهو جاهل ليس بتام

العلم، تبين ما ذكرنا من أن أصل السيئات الجهل، وعدم العلم ". اهـ بتصرف واختصار

(الحسنة والسيئة لشيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- ص:59)

4- الجهل يحجب الإنسان عن الوصول للحق:

قال تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (21) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (22) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (الأحقاف: 21-23)

قال القرطبي-رحمه الله- في تفسيره الآيات السابقة:" وقوله تعالىٰ:﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ في سؤالكم استعجال العذاب، فلم يجد نبي الله عاد عليه السلام وصفًا أبلغ من الوصف بالجهل، فهو يحذرهم من نزول العذاب بهم إن لم يرجعوا إلىٰ ربهم، وهم يستعجلونه، فانظر كيف صنع الجهل بأهله ". اهـ

وحال هؤلاء كحال الذين قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال: 32).

يقول ابن كثير-رحمه الله- في تفسير هذه الآية:" هذا من كثرة جهلهم وشدة تكذيبهم وعنادهم وعتوهم، وكان الأولىٰ لهم أن يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووفقنا لاتباعه، ولكن استفتحوا علىٰ أنفسهم واستعجلوا العذاب وتقديم العقوبة

كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (العنكبوت: 53)

وكذلك قولهم ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا[1] قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (سورة ص: 16).

1 - قطنا: أي نصيبنا من العذاب الذي أوعد به.

وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة، كما قال قوم شعيب له: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا[1] مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الشعراء: 187)، وقال هؤلاء: ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قال أنس ﷺ: قالها أبو جهل بن هشام فنزل قوله تعالىٰ:﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: 33) اهـ. (مختصر تفسير ابن كثير: 2/ 122)

5ـ الجهل يعمى عن رؤية الحق ويصم عن سماعه، وأصحابه كالأنعام:

أ – قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ (الرعد: 19)

قال القرطبي–رحمه الله– في تفسير هذه الآية: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، والمراد بالعمىٰ عمىٰ القلب، والجاهل بالدين عمي القلب ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾.

ويقول ابن القيم –رحمه الله– في كتابه" مفتاح دار السعادة: 1/ 49":" جعل الله سبحانه أهل الجهل بمنزلة العميان الذين لا يبصرون، فقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ﴾ (الرعد:19)، فما ثمَّ إلا عالم أو أعمىٰ، وقد وصف الله سبحانه أهل الجهل بأنهم صم بكم عمي في غير موضع من كتابه ". اهـ

– وقد قسم ابن الجوزي–رحمه الله– الناس إلىٰ عالم وجاهل، ثم قال:" فأما الجهال فانقسموا، فمنهم سلطان قد ربي في الجهل ولبس الحرير، وشرب الخمور، وظلم الناس، وله عمال علىٰ مثل حاله، فهؤلاء بمعزل عن الخير بالجملة. ومنهم تجار همهم الاكتساب وجمع الأموال، وأكثرهم لا يؤدي الزكاة، ولا يتحاشىٰ من الربا، فهؤلاء في صور الناس. ومنهم أرباب معاش يطففون المكيال ويخسرون الميزان ويبخسون الناس ويتعاملون

1 – كسفا: أي قطع عذاب.

بالربا وهم في الأسواق طول النهار لا همة لهم إلا ما هم فيه، فإذا جاء الليل وقعوا نياما كالسكارىٰ، فهمة أحدهم ما يأكل ويلتذ به، وليس عندهم من الصلاة خبر، فإن صلىٰ أحدهم نقرها أو جمع بينها، فهؤلاء في عداد البهائم. **ومنهم** من يطلب اللذات ولا يساعده المعاش فيخرج إلىٰ قطع الطريق وهؤلاء أحمق الجماعة إذ لا عيش لهم، فإن التذوا لحظة بأكل أو شرب فحركت الريح قصبة هربوا خوفا من السلطان وما أقل بقائهم، فنهايتهم القتل أو الصلب مع إثم الآخرة. **ومنهم** أرباب قرىٰ قد عمهم الجهل، وأكثرهم لا يتحاشىٰ من نجاسة، فهم في زمرة البقر ". اهـ باختصار (**صيد الخاطر ص**:341)

ب - **وقال تعالىٰ**: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(**الملك**:10،11)

قال ابن القيم-رحمه الله- **في" كتابه مفتاح دار السعادة**: 1/ 245":" إن الله تعالىٰ وصف أهل النار بالجهل، وأخبر أنه سد عليهم طرق العلم، فقال تعالىٰ حكاية عنهم ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ(10) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، فأخبروا أنهم كانوا لا يسمعون ولا يعقلون، والسمع والعقل هما أصل العلم وبهما ينال.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (**الأعراف**: 179)

فأخبر سبحانه أنهم لم يحصل لهم علم من جهة من جهات العلم الثلاث، وهي: العقل والسمع والبصر، **كما قال تعالىٰ في موضع آخر**: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (**البقرة**: 171) فقد وصف الله تعالىٰ أهل الشقاء كما ترىٰ بعدم العلم وشبههم بالأنعام تارة، وتارة

بالحمار الذي يحمل الأسفار، وتارة جعلهم أضل من الأنعام، وتارة جعلهم شر الدواب عنده، وتارة جعلهم أمواتا غير أحياء، وتارة أخبر أنهم في ظلمات الجهل والضلال، وتارة أخبر أن علىٰ قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا، وعلىٰ أبصارهم غشاوة. وهذا كله يدل علىٰ قبح الجهل وذم أهله وبغضه لهم، كما أنه يحب أهل العلم، ويمدحهم ويثني عليهم ". اهـ

جـ - **وقال تعالىٰ:** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (20) وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ(21) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ (22) وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنفال: 20-23)

يقول ابن القيم -رحمه الله- في كتابه" مفتاح دار السعادة: 1/ 231":" قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (الأنفال: 22) أخبر أن الجهال شر الدواب عنده، علىٰ اختلاف أصنافها من الحمير، والسباع، والكلاب، والحشرات، وسائر الدواب، فالجهال شر منها. **وقال تعالىٰ لنبيه وقد أعاذه:** ﴿ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأنعام: 35)

وقال كليمه موسىٰ- عليه السلام-: ﴿أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة: 67)

وقال لأول رسله نوح- عليه السلام-: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود: 46)

وهذا حال الجاهلين عنده ". اهـ

وقال ابن القيم-رحمه الله- في موطن آخر من كتابه" مفتاح دار السعادة:1/ 78":" إن الإنسان إنما يميز علىٰ غيره من الحيوانات بفضيلة العلم والبيان، وإلا فغيره من الدواب والسباع أكثر أكلا منه، وأقوىٰ بطشا، وأكثر جماعا وأولادا، وأطول أعمارا، وإنما ميز علىٰ الدواب والحيوانات بعلمه وبيانه، فإذا عدم العلم بقىٰ معه القدر المشترك بينه وبين سائر

الدواب، وهي الحيوانية المحضة، فلا يبقىٰ فيه فضل عليهم، بل قد يبقىٰ شرا منهم، كما قال تعالىٰ في هذا الصنف من الناس ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (الأنفال: 22) فهؤلاء هم الجهال ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أي ليس عندهم محل قابل للخير، ولو كان محلهم قابلا للخير ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أي لأفهمهم والسمع هنا سمع فهم، وإلا فسمع الصوت حاصل لهم وبه قامت حجة الله عليهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ لما في قلوبهم من الكبر والإعراض عن قبول الحق، ففيهم آفتان: إحداهما أنهم لا يفهمون الحق لجهلهم، ولو فهموه لتولوا عنه وهم معرضون عنه لكبرهم، وهذا غاية العيب، وهذه هي الثانية: والمقصود: أن الإنسان إذا لم يكن له علم بما يصلحه في معاشه ومعاده، كان الحيوان البهيم خيرا منه لسلامته في المعاد مما يهلكه دون الإنسان الجاهل ". اهـ

د – **وقال تعالىٰ:** ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (43) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان:43،44)

قال ابن القيم–رحمه الله–كما في" مفتاح دار السعادة":" لم يقتصر سبحانه وتعالىٰ علىٰ تشبيه الجهال بالأنعام حتىٰ جعلهم أضل سبيلا منهم ". اهـ

6ـ الجهل موت وظلمة، والعلم حياة ونور:

قال تعالىٰ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 122)

يقول ابن القيم –رحمه الله–كما في" مفتاح دار السعادة:1/ 231":" إن العلم حياة ونور، والجهل موت وظلمة، والشر كله سببه عدم الحياة والنور، والخير كله سببه النور والحياة، فإن النور يكشف عن حقائق الأشياء، ويبين مراتبها، والحياة هي المصححة لصفات الكمال، والموجبة لتسديد الأقوال والأعمال، وكل ما تصرف من الحياة فهو خير كله،

كالحياء، الذي سببه كمال حياة القلب وتصوره حقيقة القبح، وكالحياء الذي هو المطر الذي به حياة كل شيء، **قال تعالىٰ**: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ كان ميتا بالجهل قلبه فأحياه بالعلم، وجعل له من الإيمان نورا يمشي به في الناس ". اهـ

وقال القرطبي -رحمه الله- في تفسير الآيات السابقة:" وقوله تعالىٰ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ **قيل**: معناه كان ميتا حين كان نطفة فأحييناه بنفخ الروح فيه. **وقال ابن عباس- رضي الله عنهما-:**

" أومن كان كافرا فهديناه ".

وقيل: كان ميتا بالجهل فأحييناه بالعلم، وأنشد بعض أهل العلم ما يدل علىٰ صحة هذا التأويل لبعض شعراء العرب:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتىٰ النشور نشور

7- الجهل بالجهل من أعظم العقوبات لأنه يسد باب العلم بالكلية:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 13)

قال ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره: 1/ 50":" وإذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس أي كإيمان الناس بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وغير ذلك مما أخبر المؤمنين به وعنه، وأطيعوا الله ورسوله في امتثال الأوامر وترك الزواجر ﴿قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾ يعنون أصحاب رسول الله ﷺ. والسفهاء: جمع سفيه، لأن الحكماء: جمع حكيم، والحلماء: جمع حليم، والسفيه هو الجاهل الضعيف الرأي، القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار، ولهذا سمىٰ الله النساء والصبيان سفهاء في

قوله تعالىٰ: ﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (النساء: 5)

قال عامة علماء التفسير: هم النساء والصبيان، وقد تولىٰ الله سبحانه جوابهم في هذه المواطن كلها فقال: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء﴾ فأكدوا حصر السفاهة فيهم ﴿وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ يعني ومن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل وذلك أردىٰ لهم، وأبلغ في العمىٰ، وأبعد عن الهدىٰ ". اهـ

وكان سهل -رحمه الله- يقول:" ما يُعصىٰ الله تعالىٰ بمعصية أعظم من الجهل، قيل: يا أبا محمد هل تعرف شيئًا أشد من الجهل؟ قال: نعم. الجهل بالجهل ". اهـ

وصدق سهل -رحمه الله- فيما قال، لأن الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم.

وصدق القائل:

ما أقبح الجهل يبدي عيب صاحبه ... للناظرين وعن عينيه يخفيهِ
كذلك الثوم لا يشممه آكله ... والناس تشتم نتن الريح من فيهِ

ثانيا: ذم الجهل من السنة المباركة:

قبل الحديث عن ذم الجهل من السنة المباركة لنا وقفة مع حديث النبي الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسىٰ ﷺ عن النبي ﷺ قال:" مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ به مِنَ الهُدَىٰ والعِلْم، كَمَثَلِ الغَيْثِ[1] الكَثِيرِ أصابَ أرْضًا، فَكانَ مِنْها نَقِيَّةٌ[2]، قَبِلَتِ الماءَ، فأنْبَتَتِ الكَلَأَ[3] والعُشْبَ[4] الكَثِيرَ، وكانَتْ مِنْها أجادِبُ[5]، أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللهُ بها النَّاسَ،

1- الغيث: المطر.

2- نقية: طيبة.

3- الكلأ: النبت يابسا كان أو طريا.

4- العشب: النبت الرطب، وعطفه علىٰ الكلأ من باب عطف الخاص علىٰ العام.

فَشَرِبُوا وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأَصابَتْ مِنْها طائِفَةً أُخْرَىٰ، إنَّما هي قِيعانٌ[1] لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللهِ، ونَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللهُ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ ".

قال الإمام النووي -رحمه الله- في" شرحه علىٰ مسلم: 15/ 47":" أما معاني الحديث ومقصوده فهو تمثيل الهدىٰ الذي جاء به النبي ﷺ بالغيث ومعناه: أن الأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس؛ **فالنوع الأول من الأرض**: ينتفع بالمطر فيحيىٰ بعد أن كان ميتا وينبت الكلأ، فتنتفع الناس والدواب والزرع وغيرها، وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدىٰ والعلم فيحفظه فيحيا قلبه، ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع.

والنوع الثاني من الأرض: ما لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها، فينتفع بها الناس والدواب، وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم أفهام ثاقبة، ولا رسوخ لهم في العقل يستنبطون به المعاني والأحكام، وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به فهم يحفظونه حتىٰ يأتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم أهل للنفع والانتفاع فيأخذه منهم فينتفع به.

والنوع الثالث من الأرض: السباخ ونحوها التي لا تنبت، فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع بها غيرها، وكذا النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ولا يحفظونه لنفع غيرهم. وفي هذا الحديث أنواع من العلم

5- أجادب: الأرض الصلبة التي تمسك الماء فلا تشربه سريعا، وقيل: هي الأرض التي لا نبات بها مأخوذة من الجدب وهو القحط.

1- قيعان: الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت.

منها: ضرب الأمثال، ومنها فضل العلم والتعليم، وشدة الحث عليهما، وذم الإعراض عن العلم. والله أعلم ". اهـ

وقد ذم رسول الله ﷺ الجهل والجاهلين في كثير من الأحاديث:

1ـ الجاهل ليس على خير ولم يبال الله به:

وأخرج البخاري عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنهما- خطيبًا يقول: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: " مَن يُرِدِ اللهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ، وإنَّما أنا قاسِمٌ واللهُ يُعْطِي، ولَنْ تَزالَ هذِه الأُمَّةُ قائِمَةً علَىٰ أمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خالَفَهُمْ، حتَّىٰ يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ ".

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- كما في" فتح الباري:1/ 198":" ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين- أي لا يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من فروع - فقد حرم الخير، **وقد أخرج أبو يعلي من حديث معاوية** من وجه ضعيف زاد في آخره:" ومن لم يتفقه في الدين لم يبال الله به" والمعنىٰ صحيح، لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيها ولا طالب فقه، فيصح أن يوصف بأنه ما أريد به الخير". اهـ

2ـ الجهل سبب للبعد عن الله:

ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" الدُّنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكرَ اللهِ وما والاه، وعالِمًا أو متعلمًا ". (صحيح الجامع: 3414)

قال الألباني -رحمه الله- كما في" صحيح الترغيب والترهيب: 1/ 34": المراد بالدنيا كل ما يشغل عن الله تعالىٰ ويبعد عنه. ولعنه: بعده عن نظره ". اهـ.

ويقول ابن القيم-رحمه الله-:" لما كانت الدنيا حقيرة عند الله لا تساوي لديه جناح بعوضة كانت وما فيها في غاية البعد منه، وهذا هو حقيقة اللعنة، وهو سبحانه إنما خلقها مزرعة للآخرة ومعبرا إليها يتزود منها عباده إليه، وهذا يكون عن طريق العلم الذي به يعرف الله ويعبد ويذكر ويثنىٰ عليه ويمجد، ولهذا خلق الله الأرض، وخلق أهلها، **كما قال تعالىٰ:**

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56)

وقال تعالىٰ: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق: 12).

فتضمنت هاتان الآيتان أنه سبحانه إنما خلق السماوات والأرض وما بينهما ليعرف بأسمائه وصفاته وليعبد، فهذا المطلوب، وما كان طريقا إليه من العلم والتعلم فهو المستثنىٰ من اللعنة، واللعنة واقعة علىٰ ما عداه إذ هو بعيد عن الله، وعن محابه، وعن دينه ". اهـ بتصرف واختصار.

فعلم بهذا أن الجاهل بعيد عن الله وهذا يعرف من مفهوم الحديث، كما عرف من منطوقه، أن العالم والمتعلم مشمول برحمة الله، دخل في عنايته وحفظه.

3- الجاهل صغير مهما علا في المكانة أو كبر في السن:

يقول ابن عبد البر-رحمه الله- في" جامع بيان العلم ص:212":" قالوا: الجاهل: صغير وإن كان شيخًا. والعالم: كبير وإن كان حدثًا. واستشهدوا بقول الأول:

تعلم، فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

واستشهدوا بأن عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- كان يُسْتَفْتىٰ وهو صغير، وأن معاذ بن جبل وعتاب بن أسيد-رضي الله عنهما- كانا يفتيان الناس وهما صغيرا السن، وولاهما رسول الله ﷺ الولايات مع صغر سنهما، ومثل هذا في العلماء كثير". اهـ

ويقول الزهري-رحمه الله- في" كتاب جامع بيان العلم ص:213":" كان مجلس عمر مغتصًا من القراء شبابا وكهولا فربما استشارهم فيقول: لا يمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه، فإن العلم ليس علىٰ حداثة السن وقدمه، ولكن الله يضعه حيث يشاء ". اهـ

4- الجهل يذري بصاحبه وينقص من قدره:

يقول ابن القيم -رحمه الله- في" كتابه مفتاح دار السعادة: 1/ 166":" إن النفوس الجاهلة التي لا علم عندها قد ألبست ثوب الذل والإزراء عليها والتنقص بها أسرع منه إلىٰ غيرها، وهذا أمر معلوم عند الخاص والعام. قال الأعمش: إني لأرىٰ الشيخ لا يروىٰ شيئا من الحديث فأشتهي أن ألطمه. وقال معاوية سمعت الأعمش يقول: من لم يطلب الحديث أشتهي أن أصفعه بنعلي. وقال هشام بن علي سمعت الأعمش يقول: إذا رأيت الشيخ لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث فاصفع له، فإنه من شيوخ القمر، قال أبو صالح: قلت لأبي جعفر: ما شيوخ القمر؟ قال: شيوخ دهريون يجتمعون في ليالي القمر، يتذاكرون أيام الناس ولا يحسن أحدهم أن يتوضأ للصلاة. وقال المزني: كان الشافعي إذا رأىٰ شيخا سأله عن الحديث والفقه فإن كان عنده شيء وإلا قال له: لا جزاك الله خيرا عن نفسك، ولا عن الإسلام، قد ضيعت نفسك، وضيعت الإسلام. وقال أبو جعفر الطحاوي: كنت عند أحمد بن أبي عمران فمر بنا رجل من بني الدنيا، فنظرت إليه وشغلت به عما كنت فيه من المذاكرة، فقال لي: كأني بك قد فكرت فيما أعطىٰ هذا الرجل من الدنيا؛ قلت له: نعم، قال هل أدلك علىٰ خلة؟ هل لك أن يحول الله إليك ما عنده من المال، ويحول إليه ما عندك من العلم، فتعيش أنت غنيا جاهلا، ويعيش هو عالما فقيرا؟ فقلت: ما أختار أن يحول الله ما عندي من العلم إلىٰ ما عنده، فالعلم غنىٰ بلا مال، وعز بلا عشيرة، وسلطان بلا رجال ". اهـ

5ـ الجاهل يتحسر يوم القيامة على ما فاته من طلب العلم:

يقول ابن القيم-رحمه الله-: قال بعض العارفين: " أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت؟ قالوا: بلىٰ. قال: فكذلك القلب، إذا منع عنه العلم والحكمة ثلاثة أيام يموت. وصدق، فإن العلم طعام القلب وشرابه ودواءه، وحياته موقوفة علىٰ ذلك، فإذا فقد القلب العلم فهو موت ولكن لا يشعر صاحبه بموته، كما أن السكران الذي قد زال عقله، والخائف الذي قد انتهىٰ خوفه إلىٰ غايته، والمحب، والمفكر، قد يبطل إحساسهم بألم الجراحات في تلك الحال. فإذا صحوا وعادوا إلىٰ حال الاعتدال أدركوا آلامها، هكذا العبد إذا حط عنه الموت أحمال الدنيا وشواغلها اختص بهلاكه وخسرانه.

فحتام لا تصحـــو وقـد قـــرب المـــدىٰ وحتام لا ينجاب عن قلبك السكر

بل سوف تصحو حين ينكشف الغطا وتذكر قولي حين لا ينفـع الذكـــر

فإذا كشف الغطاء، وبرح الخفاء، وبليت السرائر، وبدت الضمائر، وبعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، فحينئذ يكون الجهل ظلمة علىٰ الجاهلين، والعلم حسرة علىٰ البطالين ". اهـ (**مفتاح دار السعادة**: 1/ 122)

6ـ الجهل سبب لإعراض الله عن العبد:

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي واقد الليثي ﷺ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ بيْنَما هو جَالِسٌ في المَسْجِدِ والنَّاسُ معهُ إذْ أقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فأقْبَلَ اثْنَانِ إلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ وذَهَبَ واحِدٌ، قالَ: فَوَقَفَا علَىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، فأمَّا أحَدُهُمَا: فَرَأَىٰ فُرْجَةً في الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وأمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وأمَّا الثَّالِثُ: فأدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسولُ اللهِ ﷺ قالَ: ألَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أمَّا أحَدُهُمْ فأوَىٰ إلىٰ اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وأمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ منه، وأمَّا الآخَرُ فأعْرَضَ فأعْرَضَ اللهُ عنْه".

يقول الحافظ ابن حجر-رحمه الله- كما في " فتح الباري:1/ 188":" وقول النبي ﷺ:"

فأعْرَضَ اللهُ عنْه" أي سخط عليه، وهو محمول علىٰ من ذهب معرضا لا لعذر، هذا إن كان مسلما، ويحتمل أن يكون منافقا، واطلع النبي ﷺ علىٰ أمره، كما يحتمل أن يكون قوله ﷺ:" فأعْرَضَ اللهُ عنْه" إخبارًا أو دعاء ". اهـ

وهذا الحديث فيه تحذير وزجر لكل من أعرض عن طلب العلم بلا عذر وآثر الجهل.

7ـ الجهل سبب فى شقاء العبد:

ودليل ذلك ما أخرجه الترمذي وأصله عند مسلم من حديث أبي كبشة الأنماري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في حديث له: "... وأحدِّثُكم حديثًا فاحفظوهُ فقالَ إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفرٍ عبدٍ رزقَهُ اللهُ مالًا وعلمًا فَهوَ يتَّقي ربَّهُ فيهِ ويصلُ فيهِ رحمَهُ ويعلمُ للهِ فيهِ حقًّا فَهذا بأفضلِ المنازلِ وعبدٍ رزقَهُ اللهُ علمًا ولم يرزقْهُ مالًا فَهوَ صادقُ النِّيَّةِ يقولُ لو أنَّ لي مالًا لعملتُ بعملِ فلانٍ فَهوَ بنيَّتِهِ فأجرُهما سواءٌ وعبدٍ رزقَهُ اللهُ مالًا ولم يرزقْهُ علمًا يخبطُ في مالِهِ بغيرِ علمٍ لا يتَّقي فيهِ ربَّهُ ولا يصِلُ فيهِ رحمَهُ ولا يعلمُ للهِ فيهِ حقًّا فهو بأخبَثِ المنازلِ وعبدٍ لم يرزقْهُ اللهُ مالًا ولا علمًا فَهوَ يقولُ لو أنَّ لي مالًا لعملتُ فيهِ بعملِ فلانٍ فَهوَ بنيَّتِهِ فوزرُهما سواءٌ".

وقول النبي ﷺ:" إنَّما الدُّنيا لأربعةٍ"، أي: إنَّ الدُّنيا يَعيشُ فيها أربعةُ أصنافٍ وأقسامٍ مِن النَّاسِ؛ الأوَّلُ: "عبدٌ رزَقه اللهُ مالًا وعِلمًا"، أي: رجلٌ مُسلِمٌ أعطاه اللهُ المالَ والعِلمَ، " فهو يتَّقي ربَّه فيه"، أي: يُنفِقُه فيما أمرَه اللهُ،" ويَصِلُ فيه رَحِمَه"، أي: يُنفِقُ هذا المالَ في الإحسانِ إلىٰ ذَوِي رَحِمِه وأقاربِه، "ويَعلَمُ للهِ فيه حقًّا"، أي: في المالِ، والمرادُ به إخراجُ زَكاتِه، وقيل: بل المالُ والعِلمُ معًا، فهو يتَصرَّفُ بهم علىٰ الوجهِ المرضيِّ للهِ تعالىٰ،" فهذا بأفضَلِ المنازِلِ" أي: فهذا مَن يَنالُ الدَّرَجاتِ العُليا، والثَّوابَ الجزيلَ.

ثمَّ ذكَر النَّبيُّ ﷺ **الصِّنفَ الثَّاني، فقال:** "وعبدٌ رزَقه اللهُ عِلمًا"، أي: أعطاه اللهُ العِلمَ والفِقهَ في الدِّينِ، "ولم يَرزُقْه مالًا" أي: ولم يُعطِه المالَ، "فهو صادِقُ النِّيَّةِ"، أي: مُخلِصٌ في

قَصدِه للهِ تعالىٰ، "يقولُ: **لو أنَّ لي مالًا**"، أي: لو أنَّ اللهَ أعطاني المالَ، " **لعَمِلتُ بعمَلِ فُلانٍ**"، أي: لكنتُ أعرِفُ حقَّ اللهِ في هذا المالِ مِن شُكرِ هذه النِّعمةِ، وتصَدَّقتُ علىٰ الفُقراءِ، ووصَلتُ به رَحِمي؛ "**فهُو بنِيَّتِه**"، أي: مَجزِيٌّ بهذا القَصدِ الصَّادقِ الَّذي نَواه إنْ أعطاه اللهُ سبحانه وتعالىٰ المالَ، "**فأَجْرُهما سَواءٌ**"، أي: مَن رُزِق المالَ وعرَف حقَّ اللهِ فيه، ومَن لم يُعطِه المالَ، لكنَّه أخلَص النِّيَّةَ، فهما مُتَساوِيانِ في الأجرِ والثَّوابِ.

ثمَّ ذكَر النَّبيُّ ﷺ الصِّنفَ الثَّالثَ، فقال: "**وعبدٌ رزَقه اللهُ مالًا**"، أي: آتاه اللهُ المالَ، "**ولَم يَرزُقْه عِلمًا**"، أي: ولم يُعطِه العِلمَ، "**فهو يَخبِطُ في مالِه**"، أي: يَستَخدِمُ هذا المالَ ويتَصرَّفُ فيه "**بغيرِ علمٍ**"، أي: عن جَهلٍ، "**لا يتَّقي فيه ربَّه**"، أي: فهو لا يَخافُ اللهَ في مالِه، "**ولا يَصِلُ فيه رَحِمَه**"، أي: ويكونُ قاطِعًا به صِلةَ الرَّحمِ لا يُنفِقُ منه شيئًا، "**ولا يَعلَمُ للهِ فيه حقًّا**"، أي: ولا يُؤدِّي شُكرَ هذه النِّعمةِ، "**فهو**"، أي: هذا الصِّنفُ مِن النَّاسِ "**بأخبَثِ المنازِلِ**"، أي: يكونُ في أحقَرِ مكانةٍ عندَ اللهِ تعالىٰ؛ لأنَّه ارتكَب إثمًا بما أتْلَف، وضيَّع مِن مالِه بغيرِ علمٍ.

ثمَّ ذكَر النَّبيُّ ﷺ الصِّنفَ الرَّابعَ، فقال: "**وعبدٌ لم يَرزُقْه اللهُ مالًا ولا علمًا**"، أي: والصِّنفُ الرَّابعُ مِن النَّاسِ هو عبدٌ لم يُؤتِه اللهُ مالًا ولم يُعطِه عِلمًا "**فهو يقولُ**"، أي: هذا الرَّجلُ الَّذي فقَد المالَ والعِلمَ: "**لو أنَّ لي مالًا**"، أي: لو أُعطِيتُ المالَ "**لعَمِلتُ فيه بعمَلِ فلانٍ**"، أي: لأنفَقتُه علىٰ الشَّهواتِ والحُصولِ علىٰ الملذَّاتِ، "**فهو بنِيَّتِه**"، أي: إنَّه يُعاقَبُ بهذا القصدِ السَّيِّئِ "**فوِزْرُهما سَواءٌ**"، أي: يَكونان في الإثمِ والذَّنبِ مُتَساوِيَين.

وفي الحديث يظهر جليًا: ذم الجهل، وفضلُ العِلمِ والمالِ إذا أُقيمَ فيهِما بما يُرْضي اللهَ عزَّ وجلَّ.

8ـ الجهل سبب فى انتشار البدع والأهواء:

يقول عبد الله بن مسعودﷺ:" كيف بكم إذا لبستكم فتنةٌ، يربو فيها الصغيرُ، ويهرمُ فيها الكبيرُ، وتتخذُ سنةٌ، فإن غيّرت يومًا قيل: هذا منكرٌ! قيل: ومتىٰ ذلك؟ قال: إذا قلَّت أمناؤُكم، وكثرت

أمراؤُكم، وقلت فقهاؤُكم، وكثرت قراؤُكم، وتُفُقِّه لغيرِ الدينِ، والتُمست الدنيا بعملِ الآخرةِ ".

(رواه الدارمي والحاكم وصححه الألباني في الترغيب والترهيب: 111)

فعياذًا بك اللهم عمن دنت همته، وقصر في العلم باعه، وطال في الجهل حاله، فهو لجهله يرىٰ الإحسان إساءة، والسنة بدعة، يجالس الجهال ويزاحمهم بركبتيه، وقد ارتوىٰ من ماءٍ آجن وتضلّع.

يقول ابن عباس-رضي الله عنهما-:" لا يزال عالمٌ يموت، وأثر للحق يُدْرس، حتىٰ يكثر أهلُ الجهل، وقد ذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل " (جامع بيان العلم: 1/ 603" رقم:1039)

9ـ الجهل سبب لهلاك الأمة:

فقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَمَاءِ، حتَّىٰ إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا ".

يقول الحافظ ابن حجر-رحمه الله- كما في" فتح الباري:1/ 236":" وفي هذا الحديث الحث علىٰ حفظ العلم، والتحذير من ترئيس الجهلة، وفيه أن الفتوىٰ هي الرياسة الحقيقية وذم من يقدم عليها بغير علم ". اهـ

فإذا غاب العلم بقبض العلماء، ظهر وانتشر الجهل، وعندها تغرق الأمة في وحل المعصية وتبتعد عن شرع رب العالمين وهذا عين الشقاء والضلال والهلاك.

جعَلَ اللهُ العِلمَ مَنارًا وهِدايةً إلىٰ طَريقِه، وبدونِ العلمِ يَضِلُّ الناسُ الطَّريقَ، فالعِلمُ الحَقيقيُّ يَمنَعُ مِن الوُقوعِ في الزَّللِ. وفي هذا الحديثِ يُخبِرُنا النبيُّ ﷺ أنَّ اللهَ لا يَرفَعُ العِلمَ مِن النَّاسِ بإزالتِه مِن قُلوبِ العُلماء ومَحوِه مِن صُدورِهم، ولكنْ يَقبِضُ العلمَ بقَبْضِ العُلماءِ

وموتِهم، فيَضيعُ العِلمُ، فلا يُوجَدُ فيمَن يَبْقىٰ مَن يَخلُفُ مَن مَضَىٰ، وكلَّما ذَهَبَ عالِمٌ ذهَبَ بما معه مِن العِلمِ، حتَّىٰ إذا لم يُبْقِ اللهُ عالِمًا ومات أهلُ العلمِ الحقيقيِّ، وصَلَ الجُهلاءُ إلىٰ المراكزِ العِلميَّةِ الَّتي لا يَستحِقُّونها؛ مِن تَدريسٍ وإفتاءٍ ونحوِه، وجعَلَ النَّاسُ منهم عُلماءَ يَسأَلونهم، فيُفتونَ بغيرِ عِلمٍ لجَهْلِهم، فيُحِلُّون الحرامَ، ويُحرِّمون الحلالَ، فيَضِلُّون في ذاتِ أنفسِهم عن الحقِّ، ويُضِلُّون مَن اتَّبَعهم وأخَذَ بفَتْواهم مِن عامَّةِ النَّاسِ. ولا تُغْني المُؤلَّفاتُ والرَّسائلُ وغيرُها عن وُجودِ العُلماءِ؛ لأنَّها لم تُفهَمْ علىٰ وَجْهِها الصَّحيحِ بدُونِهم. وفي هذا الحديثِ: الحثُّ علىٰ تَعلُّمِ العِلمِ وحِفظِه؛ فإنَّه لا يُرفَعُ إلَّا بقبْضِ العُلماءِ. وفيه: التَّحذيرُ مِن تَرئيسِ الجهَلةِ، وتَحذيرُ وُلاةِ الأُمورِ مِن تَعيينِ الجُهَلاءِ في المناصبِ الدِّينيَّةِ. وفيه: أنَّ الفَتوىٰ هي الرِّياسةُ الحقيقيَّةُ، وذمُّ مَن يُقدِمُ عليها بغَيرِ عِلمٍ. **(الدرر السنية)**

يقول عمر ﷺ:"... إنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة فمن سوده قومه علىٰ الفقه كان حياة له ولهم ومن سوده قومه علىٰ غير فقه كان هلاكا له ولهم ". (شرح السنة: 1/ 317، ورواه الدارمي في سننه)

داء الأمة هو الجهل لكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، ودواؤها في العلم بالكتاب والسنة والعمل بهذا العلم.

فعلىٰ كل مسلم أن يجتهد في علم ما جاء به الرسول ﷺ معرفة واعتقادا، وفي تطبيقه سلوكا ومنهاجا. حتىٰ يخرج من عماية الجهل إلىٰ نور العلم.

وأخرج الترمذي من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: ذُكِرَ لرَسولِ اللهِ ﷺ رجُلانِ؛ أحدهما عابدٌ، والآخَرُ عالِمٌ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: فضلُ العالمِ علىٰ العابدِ كفضلي علىٰ أدناكم ثمَّ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ إنَّ اللهَ وملائِكتَهُ وأَهلَ السَّماواتِ والأرضِ حتَّىٰ النَّملةَ في جُحرِها وحتَّىٰ الحوتَ ليصلُّونَ علىٰ معلِّمِ النَّاسِ الخيرَ ". (صححه الألباني في صحيح

الترغيب والترهيب: 1/ 37) (صحيح الترمذي: 2685)

والشاهد هو قول النبي ﷺ: " فضلُ العالمِ علىٰ العابد كفضلي علىٰ أدناكم".

للعُلماءِ فضلٌ وأجرٌ عظيمٌ؛ وذلك بما مَنَّ اللهُ عليهم مِن العِلمِ الذي تَعلَّموه ويَنشُرونَه في النَّاسِ، فيَرفَعون بهم جَهْلَهم، ويَقودُهم نحوَ مَعالِمِ الخيرِ الَّتي يَصلُحُ بها شأنُ دينِهم ودُنياهم.

وفي هذا الحديثِ يَحكي أبو أُمامةَ الباهليُّ ﷺ: أنَّه " ذُكِر لرسولِ اللهِ ﷺ رَجُلانِ أحَدُهما عابدٌ، والآخَرُ عالِمٌ"، أي: هل هُما مُستَوِيان في الفَضلِ والأجرِ؛ هذا بعِبادتِه، وهذا بعِلمِه؟" فقال رسولُ اللهِ ﷺ: فضلُ العالِمِ"، أي: إنَّ له مِن الأجرِ والثَّوابِ ما يَفضُلُ ويَزيدُ "علىٰ العابِدِ"، والمرادُ بالعالِمِ: هو صاحبُ العُلومِ الشَّرعيَّةِ مع قيامِه بما يَستَلزِمُ ذلك مِن عباداتٍ بدَنيَّةٍ مِن صلاةٍ وصومٍ، ونحوِ ذلك، وقَلبيَّةٍ مِن خشوعٍ وتَوكُّلٍ، ونحوِ ذلك، والمرادُ بالعابِدِ: المجتهِدُ في العبادةِ، وقد حصَّل قبلَ ذلك ما يَلزَمُه مِن عِلمٍ شرعيٍّ فيما يَخُصُّه مِن عِباداتٍ مأمورٍ بها أو يَفعَلُها تطَوُّعًا، ثمَّ بيَّن النَّبيُّ ﷺ الفرْقَ بينَ الاثنينِ، فقال: "كفَضْلي علىٰ أَدْناكم"، أي: إنَّ العالِمَ يتَقدَّمُ في الشَّرَفِ والرِّفْعةِ علىٰ العابِدِ، كتَقدُّمِ النَّبيِّ ﷺ علىٰ أدْنَىٰ أصحابِه رضِيَ اللهُ عَنهم، وفي هذا مبالغة شديدة في بيان فضل العالِمِ؛ إذ إنَّه ﷺ لو قال: كفَضْلي علىٰ أَعْلاكم لكَفَىٰ فضلًا وشرَفًا، فكيفَ وقد قال كفَضْلِي علىٰ أدْناكم؟!

ثمَّ قال رسولُ اللهِ ﷺ"، أي: استأنَف الكلامَ لِيُبيِّنَ سببَ هذا التَّفضيلِ قائلًا: "إنَّ اللهَ ومَلائِكتَه وأهلَ السَّمواتِ"، قيل: المرادُ بالملائكةِ: هم حَملَةُ العَرشِ، والمرادُ بأهلِ السَّمواتِ: باقِي الملائكةِ، "والأرضِ"، أي: وأهلَ الأرضِ، والمرادُ بهم: الإنسُ والجنُّ وجميعُ الحيواناتِ، "حتَّىٰ النَّملةَ في جُحْرِها"، أي: مَسْكَنِها في باطنِ الأرضِ، وقيل: ثَقْبِها الَّذي تَأْوي إليه أينَما وُجِد، "وحتَّىٰ الحوتَ"، أي: الَّذي يكونُ في أعالي البِحارِ،

"لَيُصَلُّون"، أي: يَدْعون بالخيرِ، "علىٰ مُعلِّمِ النَّاسِ الخيرَ"، أي: للعالِمِ؛ وذلك لِنَشرِه للعِلمِ بينَ النَّاسِ، والمرادُ بالخيرِ هنا: هو عِلمُ الدِّينِ الَّذي هو أنفَعُ لهم وما به النَّجاةُ، قيل: وفي هذا إشارةٌ إلىٰ وجهِ الأفضليَّةِ بأنَّ نفْعَ العِلمِ مُتعَدٍّ ونفْعَ العبادةِ قاصِرٌ، مع أنَّ العِلْمَ في نفسِه فرضٌ، وزيادةَ العبادةِ نافلةٌ.

وأخرج الطبراني من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَمِلاَكُ دِينِكُمَ الْوَرَعُ[1] "

وفي حديث آخر عند الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" وإنَّ فضلَ العالمِ علىٰ العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ علىٰ سائرِ الكواكبِ ". **(صحيح الجامع: 6297) (صحيح أبي داود: 3641)**

فالنبي ﷺ بين في هذا الحديث فضْلَ العالِمِ علىٰ العابِدِ: فقال: "وإنَّ فَضْلَ العالِمِ"، وهو المُشْتَغِلُ بالعِلمِ النَّافِعِ بأصولِهِ وقَواعِدِه الصَّحيحةِ،" علىٰ العابِدِ"، وهو من غَلبَ عَليهِ العِبادةُ مع اطِّلاعِه علىٰ العِلْمِ الضَّروريِّ، "كَفَضْلِ القَمَرِ ليلةَ البَدرِ علىٰ سائِرِ الكَواكِبِ"؛ لأنَّه يَعُمُّ بِنورِه الأرْضَ، علىٰ عَكْسِ الكَواكِبِ التي لا تُنير مع وجودِها في الكَون، وفيه تَنبيهٌ علىٰ أنَّ كَمال العِلمِ ليس للعالِمِ من ذَاتِه، بل بما تَلقَّاه عن النَّبيِّ ﷺ، كنورِ القَمر؛ فإنَّه مُستفَادٌ من نُورِ الشَّمسِ.

وكلها أحاديث تدل علىٰ فضل العالم علىٰ العابد الجاهل

يقول ابن القيم-رحمه الله- في" كتابه مفتاح دار السعادة:1/ 69معلقا علىٰ هذا الحديث:"

فضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب ليلة البدر. تشبيه مطابق لحال

1- وهذا الحديث لا يصح مرفوعا للنبي ﷺ بل هو موقوف علىٰ مطرف بن عبد الله بن الشخير -رحمه الله تعالىٰ-.

القمر والكواكب، فإن القمر يضيء الآفاق، ويمتد نوره في أقطار العالم وهذا حال العالم، وأما الكوكب، فنوره لا يجاوز نفسه، أو ما قرب منه، وهذه حال العابد الذي يضيء نور عبادته عليه دون غيره، وإن جاوز نور عبادته غيره فإنما يجاوز غير بعيد كما يجاوز ضوء الكوكب له مجاوزة يسيرة. وفي التشبيه المذكور لطيفة أخرىٰ، وهو أن الجهل كالليل في ظلمته، والعلماء والعباد بمنزلة القمر والكواكب الطالعة في تلك الظلمة، وفضل نور العالم فيها علىٰ نور العابد كفضل نور القمر علىٰ الكوكب. وأيضا فالدين قوامه وزينته وإضاءته بعلمائه وعباده، فإذا ذهب علماؤه وعباده ذهب الدين. كما أن السماء إضاءتها وزينتها بقمرها وكواكبها، فإذا خسف قمرها وانتثرت كواكبها أتاها ما توعد، وفضل علماء الدين علىٰ العباد كفضل ما بين القمر والكواكب ". اهـ

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- في كتابه" مفتاح دار السعادة:1/ 69" عن المزني -رحمه الله- أنه قال: " رُوِيَ عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أنه قال: إن الشياطين قالوا لإبليس: يا سيدنا، مالنا نراك تفرح بموت العالم ما لا تفرح بموت العابد، والعالم لا تصيب منه والعابد تصيب منه؟ قال: انطلقوا، فانطلقوا إلىٰ عابد فأتوه في عبادته فقالوا: إنا نريد أن نسألك. فانصرف، فقال إبليس: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ فقال: لا أدري. فقال إبليس: أترونه كفر في ساعة ثم جاءوا إلىٰ عالم في حلقته يضحك أصحابه ويحدثهم، فقالوا: إنا نريد أن نسألك، فقال: سل، فقال: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ قال: نعم، قالوا: كيف؟ قال: يقول: كن فيكون. فقال: أترون ذلك؟ (يقصد الجاهل) لا يعدو نفسه، وهذا يفسد علىٰ عالمًا كثيرًا.

فالعابد لم تنفعه عبادته مع جهله عندما عرضت عليه الشبهات، فالجهل ما دخل في شيء إلا شانه، والعالم يفسد علىٰ الشيطان ما يسعىٰ فيه، ويهدم ما يبنيه، فكلما أراد إحياء بدعة

وإماتة سنة حال العالم بينه وبين ذلك، فلا شيء أشد عليه من بقاء العالم بين ظهرني الأمة. ولا شيء أحب إليه من زواله من بين أظهرهم ليتمكن من إفساد الدين وإغواء الأمة ".

(انظر مفتاح دار السعادة: 1/ 69).

وبالجملة فالجهل أصل كل شر:

فالجهل له أضرار جسيمة وعواقب وخيمة، ومفاسد كثيرة – كما مر بنا–.

والذنوب والمعاصي كما هو معلوم أنها منبع الشر في العالم، ولما كان الجهل أصلها وهي فرع منه، كان الجهل هو سبب الشر، وموطن البلاء في هذا الوجود.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–كما في كتابه" اقتضاء الصراط المستقيم ص:37":" والجهل والظلم هما أصل كل شر، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَىٰ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ **(الأحزاب: 72).**

ولهذا قال الحبيب النبي ﷺ:" مَن يُرِدِ اللهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ ".(أخرجه البخاري عن معاوية رضي الله عنه)

ومفهوم المخالفة للحديث أن من أراد الله به شرا لم يفقهه في الدين، ولم يفتح عليه من أبواب العلم، بل جعله في جهله يتخبط، وفي ضلاله يهيم.

يقول بعض السلف:" خير المواهب العقل، وشر المصائب الجهل ".

(تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة: ص:10)

يقول ابن القيم –رحمه الله– في" كتابه مفتاح دار السعادة:1/ 115":" إن كل صفة مدح الله بها العبد في القرآن فهي ثمرة العلم ونتيجته، وكل ذم ذمه فهو ثمرة الجهل ونتيجته، فمدحه بالإيمان فهو رأس العلم ولبه، ومدحه بالعمل الصالح الذي هو ثمرة العلم النافع، ومدحه

بالشكر والصبر والمسارعة في الخيرات، والحب له، والخوف منه، والرجاء والإنابة، والحلم والوقار، واللب والعقل، والعفة والكرم، والإيثار علىٰ النفس والنصيحة لعباده، والرحمة بهم والرأفة وخفض الجناح، والعفو عن مسيئهم، والصفح عن جانيهم، وبذل الإحسان لكافتهم، ودفع السيئة بالحسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر في مواطن الصبر، والرضا بالقضاء، واللين للأولياء، والشدة علىٰ الأعداء، والصدق في الوعد، والوفاء بالعهد، والإعراض عن الجاهلين، والقبول من الناصحين، واليقين والتوكل والطمأنينة والسكينة والتواصل والتعاطف، والعدل في الأقوال والأفعال والأخلاق، والقوة في أمره، والبصيرة في دينه، والقيام بأداء حقه، واستخراجه من المانعين له، والدعوة إليه، وإلىٰ مرضاته وجنته، والتحذير عن سبل أهل الضلال، وتبيين طرق الغي وحال سالكيها، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والحض علىٰ طعام المسكين، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وبذل السلام لكافة المؤمنين، إلىٰ سائر الأخلاق المحمودة، والأفعال المرضية، التي أقسم سبحانه علىٰ عظمها.

وأما شجرة الجهل، فتثمر كل ثمرة قبيحة؛ من الكفر والفساد والشرك والبغي والظلم والعدوان والجزع والهلع والكنود والعجلة والطيش والحدة والفحش والبذاء والشح والبخل[1] والغش للخلق، والكبر عليهم، والفخر والخيلاء والعجب والرياء والسمعة والنفاق والكذب وإخلاف الوعد والغلظة علىٰ الناس، والانتقام، ومقابلة الحسنة بالسيئة، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وترك القبول من الناصحين، وحب غير الله ورجاؤه والتوكل عليه، وإيثار رضاه علىٰ رضا الله، وتقديم أمره علىٰ أمر الله، والتماوت عند حق الله، والوثوق بما عند حق نفسه، والغضب لها، والانتصار لها، فإذا انتهكت حقوق نفسه

1 – البخل: قيل في حده هو جهل مقرون بسوء الظن.

لم يقم لغضبه شيء حتىٰ ينتقم بأكثر من حقه، وإذا انتهكت محارم الله لم ينبض لها عرق غضبا لله، فلا قوة في أمره، ولا بصيرة في دينه، ومن ثمرتها- أي شجرة الجهل- الدعوة إلىٰ سبيل الشيطان، وإلىٰ سلوك طرق البغي، واتباع الهوىٰ، وإيثار الشهوات علىٰ الطاعات، وقيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، ووأد البنات، وعقوق الأمهات، وقطيعة الأرحام، وإساءة الجوار، وركوب مركب الخزي والعار. وبالجملة فالخير بمجموعه ثمر يجتنىٰ من شجرة العلم، والشر بمجموعه شوك يجتنىٰ من شجرة الجهل، فلو ظهرت صورة العلم للأبصار لزاد حسنها علىٰ صورة الشمس والقمر، ولو ظهرت صورة الجهل لكان منظرها أقبح منظر؛ بل كل خير في العالم فهو من آثار العلم الذي جاءت به الرسل ومسبب عنه. وكذلك كل خير يكون إلىٰ قيام الساعة وبعدها في القيامة، فسببه مخالفة ما جاءت به الرسل في العلم والعمل ". اهـ باختصار وتصرف.

ويقول محمد بن الفضل -رحمه الله-: ذهاب الإسلام علىٰ يدي أربعة أصناف من الناس: صنف لا يعملون بما يعلمون، وصنف يعملون بما لا يعلمون، وصنف لا يعملون ولا يعلمون، وصنف يمنعون الناس من التعلم ". اهـ

قال ابن القيم -رحمه الله-**معلقًا كلام محمد بن الفضل** -رحمه الله-: **الصنف الأول**: من له علم بلا عمل، فهو أضر شيء علىٰ العامة فإنه حجة لهم في كل نقيصة. **والصنف الثاني**: العابد الجاهل، فإن الناس يحسنون الظن به لعبادته وصلاحه، فيقتدون به علىٰ جهله، وهذان الصنفان هما اللذان ذكرهما بعض السلف في قوله: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، فإن الناس إنما يقتدون بعلمائهم وعبادهم، فإذا كان العلماء فجرة، والعباد جهلة، عمت المصيبة بهما، وعظمت الفتنة علىٰ الخاصة والعامة. **والصنف الثالث**: الذين لا علم لهم ولا عمل، وإنما هم كالأنعام السائمة.

والصنف الرابع: نواب إبليس في الأرض، وهم اللذين يثبطون الناس عن طلب العلم والتفقه في الدين، فهؤلاء أضر عليهم من شياطين الجن فإنهم يحولون بين القلوب وبين هدىٰ الله وطريقه، فهؤلاء الأربعة أصناف الذين ذكرهم هذا العارف رحمة الله عليه.

وهؤلاء كلهم علىٰ شفا جرف هار وعلىٰ سبيل الهلكة، وما يلقىٰ العالم الداعي إلىٰ الله ورسوله ما يلقاه من الأذىٰ والمحاربة إلا علىٰ أيديهم، والله يستعمل من يشاء في سخطه كما يستعمل من يحب في مرضاته إنه بعباده خبير بصير. ولا ينكشف سر هذه الطوائف إلا بالعلم، فعاد الخير بحذافيره إلىٰ العلم وموجبه، والشر بحذافيره إلىٰ الجهل وموجبه. **(مفتاح دار السعادة: 1/ 160).**

ثالثا: ذم الجهل من كلام السلف:

يقول عليٌّ ﷺ:" كَفَىٰ بِالْعِلْمِ شَرَفًا أَنْ يَدَّعِيْهِ مَنْ لَا يُحْسِنُهُ وَيَفْرَحُ بِهِ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ وَكَفَىٰ بِالْجَهْلِ ذَمًّا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ مَنْ هُوَ فِيْهِ ". (تذكرة السامع والمتكلم ص: 10)

فمن مذمة الجهل أنك تجد الناس يغضبون إذا وصفوا به.

أخرج أبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في الجامع والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه عن كُمَيْل ابن زياد النخعي-رحمه الله- قال:" أخذ بيدي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، فأخرجني إلىٰ الجبّان[1] فلمّا أصحر[2] تنفّس الصّعَدَاء[3]، ثمّ قال: يَا كُمَيْل بْن زِيَادٍ، إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ[4] فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا[5] فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ[6]

1 – الجبان كالجبانة: المقبرة، الجَبّان – كالجَبّانة–: أي المقبرة، وناحية الجبانة: أي جهتها.

2 – أصْحَرَ: أي صار في الصحراء. ومن جعلها بالسين" أسحر" فكأنما نظر إلىٰ الزمان، ومن نظر إلىٰ المكان جعلها صادًا

3 – تنفّسَ الصُعَدَاء: أي تنفس تنفسًا ممدودًا طويلًا.

4 – أوْعِيَة: جمع وِعاء، وهو الْإناء وما أشبهه.

وَمُتَعَلِّمٌ عَلَىٰ سَبِيلِ نَجَاةٍ[1]، وَهَمَجٌ[2] رَعَاعٌ[3] أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ[4] يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَؤُوا إِلَىٰ رُكْنٍ وَثِيقٍ".

يقول الخطيب البغدادي -رحمه الله- في كتابه" الفقيه والمتفقه: 1/ 51":"... وأما القسم الثالث: فهم المهملون لأنفسهم الراضون بالمنزلة الدنيَّة والحال الخسيسة التي هي في الحضيض الأوهد، والهبوط الأسفل، التي لا منزلة بعدها في الجهل، ولا دونها في السقوط، وما أحسن ما شبههم الإمام علي بالهمج الرعاع! والهمج الرعاع به يشبه دناءة الناس وأراذلهم ". اهـ

ويقول عبد الله بن مسعود ﷺ:" إني لأحسب الرجل ينسىٰ العلم بالخطيئة يعملها، وإن العالم من يخشىٰ الله، وتلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: 28). وقالوا: من حجب عنه العلم عذبه علىٰ الجهل، وأشد منه عذابا من أقبل عليه العلم فأدبر عنه، ومن أهدىٰ الله إليه علما فلم يعمل به ". **(جامع بيان العلم ص: 242)**

ويقول سهل بن عبد الله التستري -رحمه الله-:" الناس كلهم سكارىٰ إلا العلماء، والعلماء كلهم حيارىٰ إلا من عمل بعلمه ".

---

5 – أوْعَاها: أشدّها حفظًا.

6 – العالم الرَبّانيّ: هو العالم العامل العارف بالله.

1 – المتعلم علىٰ سبيل النجاة: من إذا أتم علمه نجا.

2 – الهَمَج: ذباب صغير كالبعوض يقع علىٰ وجوه الغنم، والمقصود: الحمقىٰ من الناس.

3 – الرَعَاع: الأحْداث الطَغام الذين لا منزلة لهم في الناس.

4 – الناعق: مجاز عن الداعي إلىٰ باطل أو حقّ.

وروىٰ عنه أيضًا أنه قال: الدنيا جهل وموات، إلا العلم، والعلم كله حجة إلا العمل به، والعمل كله هباء إلا الإخلاص، والإخلاص علىٰ خطر عظيم حتىٰ يختم به" **(رواه الخطيب في " اقتضاء العلم العمل: رقم: 22 ص:29).**

يقول سفيان بن عيينة -رحمه الله-:" وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: تدرون ما مَثَلُ الجهل والعلم؟، مثلُ دار الكفر ودار الإسلام، فإن ترك أهل الإسلام الجهاد، جاء أهل الكفر فأخذوا الإسلام، وإن ترك الناس العلم صار الناس جهالًا ". **(الفقيه والمتفقه: 1/ 35)**

قال المنصور بن المهدي للمأمون:" أيحسن بالشيخ أن يتعلم؟ فقال: إن كان الجهل يعيبه فالتعلم يحسن به ". **(جامع بيان العلم لابن عبد البر: رقم581 ص:127)**

رابعا: أسباب الجهل:

1ـ موت العلماء:

مر بنا أن من علامات الساعة انتشار الجهل، وقبض العلم، وقبض العلم يكون بقبض العلماء **كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَمَاءِ، حتَّىٰ إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا ".**

يقول ابن عباس- رضي الله عنهما-:" أتدرون ما ذهاب العلم؟ قلنا: لا. قال:" ذهاب العلماء". (الدارمي:1/ 78)

ويقول عبد الله بن مسعود ﷺ:" عليك بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب أهله، أو قال: أصحابه". **(أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، والطبراني في الكبير)**

فإذا مات العلماء قبض العلم وانتشر الجهل.

يقول ابن عباس- رضي الله عنهما-:" لا يزال عالمٌ يموت، وأثر للحق يُدْرس، حتىٰ يكثر أهلُ الجهل، وقد ذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل ". (جامع بيان العلم:1/ 603 رقم:1039)

ويقول سفيان بن عيينة -رحمه الله-:" وأي عقوبة أشد علىٰ أهل الجهل أن يذهب أهل العلم؟". (شرح السنة:1/ 318)

ويقول الإمام أبو بكر الآجري-رحمه الله-:"... فما ظنكم -رحمكم الله- بطريق فيه آفات كثيرة، ويحتاج الناس إلىٰ سلوكه في ليلة ظلماء، فإن لم يكن فيه ضياء وإلا تحيروا، فقيض الله لهم فيه مصابيح تضيء لهم، فسلكوه علىٰ السلامة والعافية، ثم جاءت طبقات من الناس لابد لهم من السلوك فيه فسلكوا، فبينما هم كذلك إذ طفئت المصابيح، فبقوا حتىٰ الظلمة، فما ظنكم بهم؟ هكذا العلماء في الناس، لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض، ولا كيف اجتناب المحارم، ولا كيف يعبد الله في جميع ما يعبد به خلقه إلا ببقاء العلماء، فإذا مات العلماء تحير الناس، ودرس العلم بموتهم، وظهر الجهل ". اهـ (**أخلاق العلماء**: ص: 96).

2- ومن أسباب الجهل: التأويلات الفاسدة والأهواء الغالبة:

يقول ابن الجوزي-رحمه الله-:" قدم علينا بعض الفقهاء من بلاد الأعاجم، وكان قاضيا ببلده فرأيت علىٰ دابته الذهب ومعه أتوار[1] الفضة وأشياء كثيرة من المحرمات، فقلت: أي شيء أفاد هذا العلم؟ بل والله قد كثرت عليه الحجج. وأكبر الأسباب قلة علم هؤلاء بسيرة السلف وما كان عليه رسول الله ﷺ، إنهم يجهلون الجملة، ويتشاغلون بعلم الخلاف، ويقصدون التقدم بقشور المعرفة وليس يعنيهم سماع حديث ولا نظر في سير السلف. ويخالطون السلاطين فيحتاجون التزي بزيهم، وربما خطر لهم أن هذا قريب، وإن لم

1- أتوار: جمع تور: وهو إناء يشرب فيه، وقد يتوضأ منه.

يخطر لهم فالهوىٰ غالب بلا صاد. نعم، ربما خطر لهم أن يقولوا: هذا يحتمل ويغفر في جانب تشاغلنا بالعلم، ثم يرون العلماء يكرمونهم (أي يكرمون الأمراء والسلاطين) لنيل شيء من دنياهم، ولا ينكرون عليهم. ولقد رأيت من الذين ينتسبون إلىٰ العلم.... من يستصحب المردان، ويشتري المماليك، وما كان يفعل هذا إلا من قد يئس من الآخرة. ورأيت من قد بلغ الثمانين من العلماء، وهو علىٰ هذه الحالة.

فالله الله يا من يريد حفظ دينه ويوقن بالآخرة، إياك والتأويلات الفاسدة، والأهواء الغالبة، فإنك إن ترخصت بالدخول في بعضها جرك الأمر إلىٰ الباقي، ولم تقدر علىٰ الخروج لموضع إلف الهوىٰ فاقبل نصحي؛ واقنع بالكسرة، وابعد عن أرباب الدنيا، فإذا ضج الهوىٰ فدعه ولا تجبه. فالصبر الصبر علىٰ شظف العيش والبعد عن أرباب الهوىٰ... فما يتمُّ دين إلا بذلك ". اهـ (**صيد الخاطر ص**:363)

3ـ من أسباب الجهل: تجزئة الشريعة والحد من العمل بها، وتعطيل بعض أحكامها:

فقد علم أعداء الإسلام أهمية العلم الشرعي، وأنه مصدر قوة الأمة الإسلامية، فعمدوا إلىٰ نشر الجهل بالدين الإسلامي بين صفوف أبنائه، ومحاولة فصل المسلم عن دينه، وذلك لإضعاف المجتمع المسلم.

خامسا: من صور الجهل:

1ـ عدم العمل بالعلم:

يقول ابن القيم-رحمه الله-كما في كتابه مدارج السالكين: 1/ 469":" الجهل نوعان: **الأول**: عدم العلم بالحق النافع، **والثاني**: عدم العمل بموجبه ومقتضاه فكلاهما جهل لغة وعرفا وشرعا وحقيقة، **قال موسىٰ** عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (**البقرة**:67) **لما قال له قومه**: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أي من المستهزئين. **وقال يوسف** عليه السلام: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (**يوسف**:33)

أي: من مرتكبي ما حرمت عليهم، وسمىٰ عدم مراعاة العلم جهلا، إما لأنه لم ينتفع به، فنزل منزلة الجهل، وإما بجهله بسوء ما تجنىٰ عواقب فعله ". اهـ

فالناظر إلىٰ كلام ابن القيم -رحمه الله- يرىٰ أنه قسم الجهل إلىٰ جهل في الإدراك وهو عدم العلم بالحق النافع، وإلىٰ جهل في القصد والإرادة وهو عدم العمل علىٰ مقتضىٰ العلم بالحق النافع بعد تحصيله وهو ما سماه بجهل العمل وهذا تقسيم بالنظر إلىٰ ثمرة العلم ونتيجته فإن العلم إن لم يكن علما بالحق النافع فهو من باب ما استعاذ منه النبي ﷺ، أي هو علم لا ينفع والعلم بالحق النافع إن لم يثمر عملا فهو من قبيل إقامة الحجة علىٰ النفس.

ويقول الألوسي -رحمه الله-:" والجهل هو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم ". (نقلا من تاريخ الأدب الجاهلي. د/ علي الجندي ص:8).

وقد ذم الله علماء السوء الذين يقولون مالا يعملون، فقال سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:44).

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد- رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" يُجَاءُ بالرَّجُلِ[1] يَومَ القِيَامَةِ فيُلْقَىٰ في النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ[2] أَقْتَابُهُ[3] في النَّارِ، فَيَدُورُ كما يَدُورُ الحِمَارُ برَحَاهُ[4]، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عليه فيَقولونَ: أيْ

1- قال الألباني- رحمه الله - كما في صحيح الترغيب والترهيب: 1/ 53: وقول النبي ﷺ:" يُجَاءُ بالرَّجُلِ " أي الذي يخالف علمه عمله.

2- والاندلاق: خروج الشيء من مكانه بسرعة.

3- والاقتاب: جمع قتب بكسر القاف: يعني الأمعاء.

4- كما يدور الحمار برحاه: أي الطاحون.

فُلَانُ! ما شَأْنُكَ؟ أليسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بالمَعروفِ وتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟! قالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بالمَعروفِ ولَا آتِيهِ، وأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وآتِيهِ"

فانظر يا أخي إلىٰ حال من قال ولم يفعل كيف تنصب أمعاؤه من جوفه، وتخرج من دبره ويدور بها دوران الحمار بالطاحون، والناس تنظر إليه وتتعجب من هيأته، نسأل الله السلامة ". اهـ.

2- ومن صور الجهل: عدم فهم الدليل، ووضعه في غير موضعه:

وهذا نتيجة قصور العلم، لذلك وصف الرسول ﷺ الخوارج بأنهم:" يقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم ". (أخرجه البخاري)

والحديث أخرجه البخاري ومسلم عن عليٍّ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسولُ اللهِ ﷺ يقولُ:" سَيَخْرُجُ قَوْمٌ في آخِرِ الزَّمانِ، أحْداثُ الأسْنانِ، سُفَهاءُ الأحْلامِ، يقولونَ مِن خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لا يُجاوِزُ إيمانُهُمْ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...".

ورواه الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رَسولَ اللهِ ﷺ:" يخرجُ في آخرِ الزمانِ قومٌ أحداثُ الأسنانِ سفهاءُ الأحلامِ يقرءونَ القرآنَ لا يُجاوزُ تَرَاقِيَهُمْ يقولونَ من قولِ خيرِ البريَّةِ، يمرقونَ من الدِّينِ كما يَمرُقُ السهمُ من الرَّمِيَّةِ ".

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-كما في" مجموع الفتاوىٰ:13/ 30":" وكانت البدع الأولىٰ مثل" بدعة الخوارج" إنما هي من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه ". اهـ

3- ومن صور الجهل: المنازعة في المسألة قبل استكمال العلم وإحكامه وجمع حواشيه وأطرافه:

فيظن المسلم أنه بقراءته للقرآن قد استكمل العلم فيذهب للمنازعة، وإنكار ما يجهله كما أنكرت أم يعقوب علىٰ عبد الله بن مسعود ﷺ أنه يلعن الواشِماتِ والمُتَنَمِّصاتِ،

والمُتَفَلِّجاتِ لِلْحُسْنِ المُغَيِّراتِ خَلْقَ اللهِ فقالَتْ أُمُّ يَعْقُوبَ: ما هذا؟ قالَ عبدُ اللهِ: وما لي لا أَلْعَنُ مَن لَعَنَ رَسولُ اللهِ، وفي كِتابِ اللهِ؟ قالَتْ: واللهِ لقَدْ قَرَأْتُ ما بيْنَ اللَّوْحَيْنِ فَما وجَدْتُهُ، قالَ: واللهِ لَئِنْ قَرَأْتِيهِ لقَدْ وجَدْتِيهِ: ﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عنْه فانْتَهُوا﴾ (الحشر: 7) (أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير).

4- ومن صور الجهل:

تجزئة الشريعة والأخذ ببعض النصوص دون بعض أو الزعم بالاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة النبوية:

يقول الشاطبي -رحمه الله- في" كتابه الاعتصام:1/ 244":" ومداد الغلط في هذا الفصل إنما هو علىٰ حرف واحد والجهل بمقاصد الشرع وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض، فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو علىٰ أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها ". اهـ

5- ومن صور الجهل: قراءة القرآن وعدم العمل به:

يقول ابن الجوزي -رحمه الله- عندما تكلم في كتابه "تلبيس إبليس" عند ذكر تلبيسه علىٰ القرَّاء فقال:" فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها، فيفني أكثر عمره في جمعها، وتصنيفها، والإقراء بها، ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات، فربما رأيت إمام مسجد يتصدَّىٰ للإقراء، ولا يعرف ما يفسد الصلاة، وربما حمله حبّ التصدُّر حتىٰ لا يرىٰ بعين الجهل، علىٰ أن يجلس بين يدي العلماء ويأخذ عنهم العلم، ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن، وتقويم ألفاظه، ثم فهمه، ثم العمل به، ثم الإقبال علىٰ ما يصلح النفس، ويُطهِّر أخلاقها، ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع، ومن الغبن الفاحش تضيِّع الزمان فيما غيره الأهم ". اهـ

قال الحسن البصري-رحمه الله-:" أُنْزِل القرآن ليُعْمل به، فاتخذ الناس تلاوته عملًا ".

يعني أنهم اقتصروا علىٰ التلاوة وتركوا العمل به.

6- ومن صور الجهل عدم معرفة المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه:

أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم أو الدليل. (**انظر اقتضاء الصراط المستقيم**: 1/ 37)

تنبيه: ما سبق من صور الجهل هي نماذج بسيطة، ومن باب ضرب الأمثلة، وإلا فصور الجهل كثيرة جدًا في العبادات، والمعاملات، بل وفي العقائد.

سادسًا: كيفية التعامل مع الجاهلين:

قال تعالىٰ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (119) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: 119،120)

قال النسفي -رحمه الله- في" تفسيره: 2/ 91":" قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ هو ضد الجهل، أي ما عفا لك من أخلاق الناس وأفعالهم، ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتىٰ لا ينفروا، ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي بالمعروف والجميل من الأفعال والأقوال أو هو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ وإما ينخسنك منه نخس أي بأن يحملك بوسوسته علىٰ خلاف ما أمرت به ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ﴾ ولا تطعه، إِنَّهُ ﴿سَمِيعٌ﴾ لنزغه ﴿عَلِيمٌ﴾ بدفعه ". اهـ باختصار

وقال الشنقيطي -رحمه الله- في" تفسيره أضواء البيان:2/ 341":" بين الله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة ما ينبغي أن يعامل به الجهلة من شياطين الإنس والجن، فبين أن شيطان الإنسان يعامل باللين، وأخذ العفو، والإعراض عن جهله وإساءته، وأن شيطان الجن لا منجىٰ منه إلا بالاستعاذة بالله منه. **قال في الأول:** ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ **وقال في الثاني:** ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. اهـ

وجاء في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- قال:" قَدِمَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ علَىٰ ابْنِ أخِيهِ الحُرِّ بنِ قَيْسٍ، وكانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ،

وكانَ القُرَّاءُ أصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ ومُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أوْ شُبَّانًا، فَقالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أخِيهِ: يا ابْنَ أخِي، هلْ لكَ وجْهٌ عِنْدَ هذا الأمِيرِ؟ فَاسْتَأْذِنْ لي عليه، قالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لكَ عليه، قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فأذِنَ له عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عليه قالَ: هِي يا ابْنَ الخَطَّابِ! فَوَاللهِ ما تُعْطِينَا الجَزْلَ ولَا تَحْكُمُ بيْنَنَا بالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حتَّىٰ هَمَّ أنْ يُوقِعَ به، فَقالَ له الحُرُّ: يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: 199)، وإنَّ هذا مِنَ الجَاهِلِينَ، واللهِ ما جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عليه، وكانَ وقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ ".

والآية السابقة موافقة لقوله تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: 63).

قال ابن كثير-رحمه الله- في " تفسيره:3/ 321": وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ أي إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيىء لم يقابلوهم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرا كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلما ". اهـ

وحال المؤمنين كما وصفهم رب العالمين في كتابه الكريم:﴿.... وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (54) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص:54،55).

قال ابن كثير -رحمه الله- في " تفسيره: 3/ 393":" وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي لا يقابلون الشيء بمثله ولكن يعفون ويصفحون، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: ومن الذي رزقهم من الحلال منفقون علىٰ خلق الله في النفقات الواجبة لأهليهم وأقاربهم والزكاة المفروضة والمستحبة، من التطوعات وصدقات النفل والقربات. وقوله:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ أي: لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم، ولهذا قال عنهم أنهم قالوا: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي: لا نريد طريق الجاهلين ولا نحبها ". اهـ

سابعا: علاج الجهل:

1- طلب العلم:

حث النبي ﷺ علىٰ طلب العلم، فقد أخرج ابن ماجة والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"طلبُ العلمِ فريضةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ[1] ". (صحيح الجامع: 3913)

يقول ابن القيم -رحمه الله- في" كتابه مفتاح دار السعادة: 1/ 480":" إن الإيمان فرض علىٰ كل واحد، وهو ماهية مركبة من علم وعمل، فلا يتصور وجود الإيمان إلا بالعلم والعمل. ثم شرائع الإسلام واجبة علىٰ كل مسلم، ولا يمكن أداؤها إلا بعد معرفتها والعلم بها، والله تعالىٰ أخرج عباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا، فطلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم. وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه علىٰ العباد إلا بالعلم؟ وهل ينال العلم إلا بطلبه؟ ". اهـ

وهذا العلم لا ينال إلا بالتعب وهجر اللذات:

يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- كما في" كتابه مفتاح دار السعادة: 1/ 142":" ولا ينال العلم إلا بهجر اللذات، وتطليق الراحة، قال إبراهيم الحربي: أجمع عقلاء كل أمة أن

1- زيادة "ومسلمة" في الحديث، والتي اشتهرت علىٰ ألسنة الناس فلا أصل لها وحديث:" اطلبوا العلم ولوفي الصين" حديث باطل، انظر السلسلة الضعيفة للألباني رقم (416).

النعيم لا يدرك بالنعيم، ومن آثر الراحة فاتته الراحة، فما لصاحب اللذات وما لدرجة وراثة الأنبياء.

فدعْ عنك الكتابة لستَ منها ولو لطَّختَ وجْهَك بالمدادِ

فإن العلم صناعة القلب وشغله، فما لم تتفرغ لصناعته وشغله، لم تنلها، وله وجهة واحدة فإذا وجهت وجهته إلىٰ اللذات والشهوات، انصرفت عن العلم، ومن لم يغلب لذة إدراكه العلم وشهوته علىٰ لذة جسمه وشهوة نفسه: لم ينل درجة العلم أبدا فإذا صارت شهوته في العلم ولذته في إدراكه رجا له أن يكون من جملة أهله ". اهـ

وقال ابن القيم أيضا في" نفس المصدر: 1/ 362":" السعادة الحقيقية هي سعادة نفسانية روحية قلبية، وهي سعادة العلم النافع ثمرته، فإنها هي الباقية علىٰ تقلب الأحوال، والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره، وفي دوره الثلاثة، وبها يترقىٰ معارج الفضل ودرجات الكمال، كلما طال الأمل ازدادت قوة وعلوا، وهذه السعادة لا يوف قدرها ويبعث علىٰ طلبها إلا العلم بها، وإنما رغب أكثر الخلق علىٰ اكتساب هذه السعادة وتحصيلها- يعني سعادة العلم- وعورة طريقها، ومرارة مباديها، وتعب تحصيلها، وإنها لا تنال إلا علىٰ جسر من التعب، فإنها لا تحصل إلا بالجد المحض.

فقل لمرجِّي معالي الأمور بغير اجتهاد رجوْتَ المحالَا

وقال أحدهم:" لولا المشقة ساد للناس كلهم ".

ومن طمحت همته إلىٰ الأمور العالية فواجب عليه يشد علىٰ محبة الطرق الدينية، فالمكارم منوطة بالمكاره، والسعادة لا يعبر إليها إلا علىٰ جسر المشقة، فلا تقطع مسافتها إلا في سفينة الجد والاجتهاد.

قال يحيىٰ بن أبي كثير-رحمه الله- كما في صحيح مسلم:" لا ينال العلم براحة الجسد ".

وقد

قيل: من طلب الراحة ترك الراحة.

ولولا جهل الأكثرين بحلاوة هذه اللذة وعظم قدرها: لتجالدوا عليها بالسيوف، ولكن حفت بحجاب من المكاره، وحجبوا عنها بحجاب من الجهل، ليختص الله لها من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم. اهـ بتصرف واختصار.

وقال ابن الجوزي-رحمه الله-:" العلم لما كان أشرف الأشياء: لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار، وهجر اللذات والراحة، حتىٰ قال بعض الفقهاء: بقيت سنينا أشتهي الهريسة لا أقدر، لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس ". اهـ **(علو الهمة ص:142)**

وما هذه المشقة في تحصيل العلم إلا لأنه: "أرفع مقام تطمح إليه الهمم، وأشرف غاية تتسابق إليها الأمم، فلا يخلص إليه الطالب دون أن يقاسي شدائد، ويحتمل مصاعب، ولا يستهين بالشدائد إلا كبير الهمة، ماضي العزيمة، فالعلم بحاجة إلىٰ رجال يقبلوا عليه بهمم كبيرة، وعزم يبلي الجديدان وهو صارم صقيل، وحرص لا يشفىٰ غليله إلا أن يغترف من موارد العلوم بأكواب طافحة، وغوص في البحث لا تحول بينه وبين نفائس العلوم، وعورة مسلك، ولا طول مسافة. **(نضرة النعيم: 4/ 2711)**

يقول الشافعي -رحمه الله-:

أَخي لَن تَنالَ العِلمَ إِلّا بِستَّةٍ سَأُنبيكَ عَن تَفصيلِها بِبَيانِ

ذَكاءٌ وَحِرصٌ وَاجتِهادٌ وَبُلغَةٌ[1] وَصُحبَةُ أُستاذٍ وَطولُ زَمانِ

2- سؤال أهل العلم:

فمن لم يقدر علىٰ طلب العلم لعلة ما، فعليه بسؤال أهل العلم

يقول ابن القيم -رحمه الله- في" كتابه الداء والدواء ص:10":" ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما أَنْزَلَ اللهُ داءً إِلَّا أَنْزَلَ له شِفاءً ". قد

1- بلغة: هي ما تبلغ به الإنسان من أمور المعاش يعني أقل القليل.

جعل النبي ﷺ الجهل داءً، ودواءَه سؤال العلماء؛ **قال تعالىٰ:** ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ **(النحل: 43)** ". اهـ

كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود من حديث جابر ﷺ قال:" خرَجْنا في سفَرٍ فأصابَ رجلًا منَّا حجَرٌ فشجَّهُ في رأسِهِ ثمَّ احتلَمَ فسألَ أصحابَهُ فقالَ هل تَجِدونَ لي رخصةً في التَّيمُّمِ فَقالوا ما نجِدُ لَكَ رُخصةً وأنتَ تقدرُ علَىٰ الماءِ فاغتسَلَ فماتَ فلمَّا قدِمنا علَىٰ النَّبيِّ ﷺ أُخْبِرَ بذلِكَ فقالَ قَتلوهُ قتلَهُمُ اللهُ ألا سألوا إذْ لَم يعلَموا فإنَّما شفاءُ العيِّ[1] السُّؤالُ، إنَّما كانَ يَكْفيهِ أن يتيمَّمَ ويعصرَ- أو يعصبَ شَكَّ موسَىٰ- علَىٰ جرحِهِ خرقةً ثمَّ يمسحَ عليها ويغسِلَ سائرَ جسدِهِ ". (صححه الألباني دون قوله:" إنما كان يكفيه.... إلىٰ آخر الحديث)

3ـ قراءة القــرآن بتدبر وفهم معانيه:

فقد أخبر الله تعالىٰ عن القرآن أنه شفاء. **فقال تعالىٰ:** ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ **(الإسراء:82)** و **"مِنَ"** هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، فإن القرآن كله شفاء **كما قال تعالىٰ في سورة فصلت** ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ **(فصلت: 44)**

فهو شفاء للقلوب من داء الجهل، والشك والريب، فلم ينزل الله سبحانه وتعالىٰ من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجح في إزالة الداء من القرآن ". **(الداء والدواء)** بتصرف.

يقول ابن القيم-رحمه الله- في نونيته:

والجهــلُ داءٌ قاتـــلٌ وشفـــاؤُه   أمران في التركيب متفقــانِ

نصٌّ من القرآن أو من سنةٍ   وطبيبُ ذاك العالمُ الربَّاني

1- العي: الجهل.

فكل من قال بغير الكتاب والسنة فهو من الهذيان.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله تعالىٰ أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالىٰ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان علىٰ إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالىٰ – أعلىٰ وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

المحتويات

تمهيد..... 2

نبض الرسالة..... 3

الجهل... الداء العضال 6

تعريف الجهل: 6

أولا: ذم الجهل من القرآن الكريم: 9

1- الجهل سبب لإعراض المعرضين عن دعوة الأنبياء والمرسلين: 9

2- الجهل سبب للوقوع في الشرك: 10

4- الجهل يحجب الإنسان عن الوصول للحق: 16

5- الجهل يعمي عن رؤية الحق ويصم عن سماعه، وأصحابه كالأنعام: 17

6- الجهل موت وظلمة، والعلم حياة ونور: 20

7- الجهل بالجهل من أعظم العقوبات لأنه يسد باب العلم بالكلية: 21

ثانيا: ذم الجهل من السنة المباركة: 22

1- الجاهل ليس علىٰ خير ولم يبال الله به: 24

2- الجهل سبب للبعد عن الله: 24

3- الجاهل صغير مهما علا في المكانة أو كبر في السن: 25

4- الجهل يذري بصاحبه وينقص من قدره: 26

5- الجاهل يتحسر يوم القيامة علىٰ ما فاته من طلب العلم: 27

6- الجهل سبب لإعراض الله عن العبد: 27

7- الجهل سبب في شقاء العبد: 28

8- الجهل سبب في انتشار البدع

والأهواء:..... 29
9- الجهل سبب لهلاك الأمة: 30
ثالثا: ذم الجهل من كلام السلف:..... 38
رابعا: أسباب الجهل: 40
1- موت العلماء: 40
2- ومن أسباب الجهل: التأويلات الفاسدة والأهواء الغالبة:..... 41
3- من أسباب الجهل: تجزئة الشريعة والحد من العمل بها، وتعطيل بعض أحكامها:.... 42
خامسا: من صور الجهل: 42
1- عدم العمل بالعلم: 42
2- ومن صور الجهل: عدم فهم الدليل، ووضعه في غير موضعه:..... 44
3- ومن صور الجهل: المنازعة في المسألة قبل استكمال العلم وإحكامه وجمع حواشيه
وأطرافه: 44
4- ومن صور الجهل:..... 46
5- ومن صور الجهل: قراءة القرآن وعدم العمل به:..... 46
سادسًا: كيفية التعامل مع الجاهلين:..... 47
سابعا: علاج الجهل:..... 49
1- طلب العلم: 49
2- سؤال أهل العلم:..... 51
3- قراءة القرآن بتدبر وفهم معانيه: 52